المحاضرة الثالثة:

1.مدخل مفاهيمي في علم اجتماع المخاطر.

2.نظريات علم اجتماع المخاطر.

محاضرة جديدة , في رحاب هذه المادة الشيقة , نستهلها بالتأكيد بتعريف ميدان علم اجتماع المخاطر , تمهيدا لولوجنا إلى أهم النظريات في هذا الفرع العلمي , لكن ما ننوه له في هذا المقام , هو أن علم اجتماع المخاطر مازال في مرحلة التأسيس , و الكتابات حوله لازالت تعد ضئيلة , أن لم نقل تعد على الأصابع , الا أن الحاجة الملحة لمثل هذا الفرع العلمي و الواقع الذي تعيشه مجتمعاتنا الآن , جعل إدراج مثل هذه المادة في تكوين الطلبة كمختصين مستقبلا في علم الاجتماع ومهتمين بقضايا المجتمع ضرورة ملحة .

تعريف علم اجتماع المخاطر :

علم اجتماع المخاطر هو ذلك العلم الذي يهتم بفهم و تفسير ظاهرة المخاطرة بأسبابها و نتائجها في السياق التاريخي و المجتمعي ككل , تفسيرا سوسيولوجيا, كما يعنى تحديدا بدراسة المخاطر الأخطار المنبعثة من عصر الحداثة و ما بعدها , أي أنه يتناول بالدراسة المخاطر التي يعرفها عالمنا اليوم و أثرها على المجتمع الإنساني , و كما رأينا في المحاضرة الثانية هو يرتبط بالدرجة الأولى بإسهامات عالم الاجتماع الألماني أولريش بيك الذي يرجع له الفضل في صياغة مفهوم مجتمع المخاطرة , كما يبرز في هذا المجال أيضا علماء اجتماع مثل الانجليزي أنتوني جيدنز , و الألماني نيكلاس لومان , و الفرنسي دافيد لوبروتون...

المخاطرة و الخطر وجدا منذ وجود الإنسان على وجه الأرض , إلا أن ذلك يختلف حتما من حيث الدرجة و النوع و الإدراك و التحكّم ... فالمخاطر التي تعرفها المجتمعات المعاصرة هي مخاطر أكثر تعقيدا من تلك التي عرفها الإنسان قبلا , إضافة إلى أنها مخاطر ليد الإنسان فيها بالغ الأثر , غير تلك التي تحدث بصورة طبيعية .

في حديثنا عن نظريات علم اجتماع المخاطر , سنركز على مقولات كل من : اورليش بيك و ماكس لومان , و انطوني غيدنز .

اورليش بيك :

ينطلق بيك في نظريته من فكرة مهمة , مفادها ان المخاطرة و الخطر وجدا منذ وجود الإنسان على هذه البسيطة مع أن ذلك يختلف حتما من حيث الدرجة و النوع و الإدراك و التحكّم و ارتبط ظهورها بفجر النهضة الأوروبية في القرنين السادس عشر و السابع عشر , و كذا بظهور الاحتمالية في الحساب , و التي تمثل أول محاولة للتحكم فيما هو غير متوقع و ذلك بحساب إمكانية النجاح و الخسارة مقابل المكان و الزمان .

مفاهيم النظرية

مجتمع المخاطرة حسب بيك هو:

- مجتمع ظهر مع منتصف القرن العشرين .
- يتميز يكونه مجتمع ساخط على تبعات الحداثة السلبية .
- يبحث في كيفية إدارة المخاطر و الأخطار بالوقاية و العلاج معا .
- مرغم على مواجهة سلبيات الحداثة و إيجاد الحلول و البدائل المناسبة لمجابهة تحدياتها و إدارتها.

في كتابه (مجتمع المخاطرة) الذي كتبه عام 1986 , يصف بيك النصف الثاني من القرن العشرين ب : عقد المخاطرة , أي مدى القدرة على التحكم في التهديدات و الأخطار الناجمة عن الصناعة و القدرة على تعويضها ...

أما في كتابه (مجتمع المخاطر العالمي : بحثا عن الأمان المفقود) عام 2006 , قد فرق فيه بين مجتمع المخاطرة و مجتمع المخاطر العالمي .

- مجتمع المخاطر : يبحث في آليات التحكم في التهديدات و الأخطار التي افزتها الحداثة .
- مجتمع المخاطر العالمي : مجتمع عالمي تنتشر فيه المخاطر و الأخطار في مختلف الأقطار, هذه الأخطار تتميز بأنها مخاطر طيارة , أي التي تطير و تنتقل من مكان إلى مكان آخر دون التمكن

من كبحها و التحكم فيها , هو مجتمع لعبت فيه العولمة و انسيابية التدفق و تخطي الحدود القومية دورا بالغا في : عولمة المخاطر و الأخطار, و منه توسيع نطاق عدم الأمان المصطنع.

فمجتمع المخاطر العالمي هو مجتمع مهيأ لاحتضان المخاطر و الإخطار , بعدما كانت المخاطر و الأخطار لا تتعدى حدود الدولة القومية , تصبح في عصر العولمة عابرة للحدود القومية لتتدفق في مختلف الاتجاهات.

فمجتمع المخاطر حسب أولريش بيك :هو حالة من توافق الظروف أصبحت فيها فكرة إمكانية التحكم في الآثار الجانبية و الأخطار التي يفرضها اتخاذ القرارات محل شك .

فالمخاطر باتت جزءا من الحياة اليومية للمجتمعات المعاصرة , ترتبط باتخاذ القرار بشأن سلوك ما قد يحقق لنا : إما فرصة و إما خطرا , و مع تفاقم المخاطر و الأخطار مقابل الفرص فإن مجتمع المخاطرة بات يعيش حالة من عدم الأمان و أيضا الشك و فقدان اليقين بخصوص إمكانيته و مقدرته على مواجهة تلك المخاطر و الأخطار و التحكم فيها مكانيا و زمنيا .

و لهذا يتفق علماء المخاطرة على أن عالمنا اليوم يعيش حالة من فقدان اليقين العالمي.

من جهة أخرى يفرق بيك بين المخاطرة و الكارثة :

- المخاطرة تعني التنبؤ بالكارثة أي هي إمكانية أن تطرأ أحداث و تطورات مستقبلية و اذا ما تحققت تصبح إذن كارثة , أي المخاطرة حدث متنبأ بحدوثه.
- الكارثة : فهي حدث فعلي.

عناصر النظرية

ينطلق أولريش بيك في نظريته من ثلاث منظورات و هي:

1.العولمة :

حيث عملت على عولمة المخاطر و الأخطار و تجسيد اللحظة الكوزموبوليتانية (اللاقومية) مع تراجع الدولة القومية , فبات ضروريا أن يتم فهم المخاطر في سياق عالمي و هو ما يسميه ب : الكوزموبوليتانية المنهجية , بعدما كانت تفهم في سياق قومي داخلي .

2.التصوير و الإخراج :

و هو يعني أن المخاطرة و التي هي أمر كارثي متوقع و متنبأ به يتم إخراجه و تصويره بوصفه توقعا ذَا مصداقية ما يكسبه الصفة الحقيقية فيشكل صورة نمطية ذهنية في عقول الناس بأن الكارثة حاضرة بينهم , أي أن مستقبل الكارثة حاضرا , الأمر الذي يهدف غالبا إلى منعها و تفاديها .

و التصوير السينمائي للمخاطرة لا يعني تزوير الحقيقة من خلال تزوير مخاطر غير حقيقية و إنما هو عرض سياسي و إعلامي للجمهور و للعالم حتى يدركوا مستقبل المخاطرة و منه يتم تفادي الوقوع في الكارثة من خلال التأثير على القرارات الحالية . و حسن إدارة الوضع و التحكم فيه.

3. المقارنة بين المخاطر البيئية و الاقتصادية و الإرهابية :

بحيث أن بيك انطلق في تحليله من ثلاث منطقيات للمخاطر الكونية و هي :

- مخاطر بيئية .
- مخاطر اقتصادية مالية .
- مخاطر الإرهاب .

فاعتبر أن المخاطر البيئية و الاقتصادية تأتي (صدفة) أي عن حسن نية ، أما مخاطر الإرهاب فهي مقصودة أي عن سوء نية.